النَّكبةُ في ذاكرةِ المُهجَّرين
(تجربة في تعليم التاريخ)

باسمة صواف وأمل قطاوي

"ها هو أبو محمد وبعد ستين عاماً يقطن مخيم الجلزون . . . متمسكاً بمفتاح البيت، يضم في ثنايا الذاكرة صوراً تأبى النسيان للبيت والحقل والوطن . . . فأبو محمد لا يزال يحمل أوراقه الثبوتية للبيت والأرض؛ ليغذي ذاكرة الأبناء بحقه الذي يأبى النسيان، فهو على يقين بأن الذاكرة ستكون الطريق للعبور إلى الوطن السليب" (من فيلم: أين عصف بنا التاريخ؟! إخراج: بنات دير جرير الثانوية).

حتى لا تكون النكبة مجرد مصطلح غلفته معان سطحية مشوهة، أو انكسارات نفسية وفكرية، كان لا بدّ من إخراجه من كفَنه لإعادة تفكيكه، وتركيبه من أجل إحداث تغيير للنكبة قضيةً وإنساناً، بعد أن غُيبت وهُمشت من ذاكرة العالم.

ولكي يتم ذلك، قمت أنا وزميلتي أمل بتنفيذ مساق عن النكبة حمل عنوان "قراءة النكبة في ذاكرة المهجرين"؛ لكي نحيي النكبة في إطار تربوي من أجل إعادة قراءتها من ذاكرة المهجرين، وإعادة إنتاجها في سياقات فاعلة، ممتدة عبر ذاكرة تحمل في تلابيبها حضوراً لزمن يحمل عنوانه مثقلاً، ومكان غُيّب من جغرافيته، وذلك ضمن سلسلة من النشاطات الكتابية والدرامية، من أجل إزاحة المغلوط، واستكمال الناقص، وتجميل المشوه. لذا، سارعنا إلى الاستماع لذاكرة مهجرين ما زالوا على قيد الحياة، قمنا بتسجيلها صوتاً وصورة، من خلال مقابلاتنا لهم.

وقد استغرق هذا المساق عشر ساعات من العمل مع الطالبات، وزّعت على مدار يومين في مدرستين مختلفتين، وهما: بنات دير جرير الثانوية، وراهبات الوردية في بيت حنينا. وهذا الملخص يشمل نشاط طالبات المدرستين.

النشاط الأول:
قراءة المكان في ذاكرة الأجداد

الهدف منه: إيصال الطالبات إلى درجة من التلاحم النفسي والوجودي مع المكان عبر ذاكرة الأجداد؛ بهدف وصول الطالبات إلى المكان: كذاكرة، وتاريخ، وتراث.

مراحل النشاط:
ولكي يتحقق هذا الهدف قمنا بالنشاطات الآتية:

المرحلة الأولى: تدريب الإحماء: فيه إحالة زمنية إلى الماضي؛ كي تعيش الطالبات الأجواء النفسية (من خوف واضطراب، وهروب. . .) كما عاشها الأجداد عند الرحيل.

المرحلة الثانية: حديث الطالبات عن مشاعرهن في لحظة الخوف والهروب، والحديث عن الأشياء العزيزة والثمينة التي حملنها معهن في لحظات الهروب.

نتائج المرحلة الثانية

إجابات بعض الطالبات:

طالبات مدرسة راهبات الوردية:

1. "أخذت هوية لتساعدني على التنقل. وهاتف خلوي للاتصال في وسائل الدفاع المدني، أو أحد الأقارب".

وتعلق زميلتي أمل على كتابة الطالبة قائلة: إن اختيار الطالبة للهوية

يعدّ دليلاً على أن الحواجز العسكرية ما زالت هاجساً عند الطالبات لاختيار هذه الهوية.

2. "أخذت معي صندوقاً يحتوي على أشيائي الخاصة، والهدايا، والتذكار ممن أحب".

3. وطالبة أخرى لم تأخذ معها شيئاً؛ لأنها فضلت البقاء في البيت قائلة: "إن كُتبت لي الحياة فليكن، وإن لم تُكتب، سأموت في منزلي".

طالبات مدرسة دير جرير:

1. "كتاب كنت قرأته، وأعجبني، كتاب "أرض البرتقال الحزين" لغسان كنفاني؛ اخترت الكتاب لأنه تملكني بكل ما فيه، بواقعية القصص التي قصها الكاتب، وبجمال ألفاظه، والمهم مضمون الكتاب، حيث عبر عن المأساة الكبرى "النكبة"، نبض القضية الفلسطينية. اخترت هذا الكتاب؛ لأنني شعرت أنني أملكه، أملك صديقاً وفياً ينقل لي أحداثاً مضت، شعرت أنه الكنز الثمين".

2. "أخذت معي ألبوم صور ومذكرات؛ لأنها الأشياء الوحيدة الباقية من الماضي، وأنا أحب أن أتعلق بالماضي، فهو جزء كبير من حياتي وحاضري".

3. "لم آخذ شيئاً معي؛ لأنني كنت خائفة، ولم أفكر إلا بتخليص نفسي".

المرحلة الثالثة: قيام الطالبات برسم المكان الآمن الذي لجأت إليه، والحديث عنه

نتائج المرحلة الثالثة

أغلب الأماكن كانت لدى طالبات مدرسة دير جرير، هي:

1. شجرة زيتون؛ لأنها توحي بالأمل والحياة.
2. المغر؛ لأنها مكان آمن بنظرهن.
3. حضن الأم؛ لأنه المكان الوحيد الذي يشعرنهن بالدفء والحنان.
4. الجماعة؛ لأن الأمان يتجسد فيها.

أما الأماكن التي اختارتها بنات راهبات الوردية، فكانت:

1. حضن الوالدين؛ لأنه المكان الآمن، والمحبب عندها.
2. الشجرة؛ لأنها ذات أصل، ولا يمكن أن تؤذيها إن سقطت.
3. اختارت إحداهن أن تبقى بجانب زاوية خارجية من البيت.

المرحلة الرابعة: قراءة المكان في ذاكرة المهجرين

المكان في ذاكرة المهجرين (شهادات شفوية)

"كانت العباسية جميلة، شوارعها مرصوفة، فيها سوق يأتي إليها الناس من مختلف المناطق يبيعون ويشترون. كان بيتنا جميلاً، مسقوفاً بقرميد، وحوله حديقة جميلة . . . ".
الحاجة فاطمة – العباسية

كانت القرية بسيطة (حياة فلاحين)، بعيدة عن الشارع الرئيسي، شوارعها غير مرصوفة، كنّا نستخدم الحمير والبغال والجمال في تنقلاتنا، تشتهر قريتنا بزراعة السمسم، والذرة التي كنا نخلطها مع القمح، ونعمل منهما طحيناً. لم نكن نعرف الزيتون وزيته، كنا نستخدم زيت السيرج بشكل كبير.
أم راسم الطرشة/ عنابة

"بلدنا قرية صغيرة على رأس جبل، والقرى التي حولها بعيدة عنها. فيها شارع واحد معبّد، لوسط المدينة. كنّا نزرع القمح، والشعير، والكرسنة، والعدس، وكان رجالنا يعملون في المحاجر. كان بيتنا مكوناً من غرفتين، وباب واحد، وبستان حول الدار، كنّا نزرع فيه: البرقوق والأجاص، والتفاح، والتين، والعنب. ولم نكن نزرع الخضار بسبب شح المياه؛ لأننا كنا نعتمد على الآبار".
نعمة محمد زهران – دير ياسين

"اللد مدينة حافظت على ثوابتها الوطنية، فهي المدينة الوحيدة في فلسطين التي لم تبع أراضيها لليهود، ولم يكن فيها كهرباء كمدينة الرملة والمدن المجاورة؛ لأن شركة الكهرباء كانت ضمن سيطرة اليهود. وكان توجد فيها سوق تجارية مسقوفة، فيها عطارون وخياطون، وسوق خضار لم يكن فيها فندق، بل "خان" للدواب والبشر. عند خروجك من البلدة القديمة تشاهد الكنيسة والمسجد، الذي لا يفصل بينهما إلا حائط واحد، فلم يكن هناك فرق بين المسيحي والمسلم، اللد أكثر منطقة فلسطينية كان فيها تجاوب بين المسيحيين والمسلمين، بينهم تسامح، ومحبة. وكان عدد سكان اللد العام 1948 (27 ألف نسمة).
نمر ناصيف – اللد

المرحلة الخامسة: لكي يحدث التوحد النفسي والوجودي بين المكان الآمن الذي رسمته الطالبات، والمكان الذاكرة الذي تحدث عنه المهجرون، قمنا بالنشاط الآتي:

استكمال رسم المكان الذي رسمته الطالبات بملامح القرية أو المدينة التي اختارتها بعد الاستماع إليها من ذاكرة المهجرين

نتائج المرحلة الخامسة

طالبات راهبات الوردية:

تقول زميلتي أمل:

كان أجمل ما رُسم مدينة اللد، بحيث جمعت هذه الرسومات بين شهادة المهجر "نمر ناصيف" واستكمال المكان من المتخيل، وقد تمت عنونة الرسومات بعبارة "أهلا وسهلاً بكم في مدينة اللد"، وهكذا في باقي الأمكنة. وقد رُسمت الكنيسة بجوار المسجد، حيث لا يفصل بينهما سوى حائط، وكتبت عبارات دينية على المسجد والكنيسة، مثل: "بسم الأب والابن وروح القدس"، أما المسجد فكتبت عليه آيات قرآنية. بالإضافة إلى رسم سوق مسقوف، مثل: سوق العطارين، والخضار.

وكُتب على باب السوق عبارات، مثل: يا فتاح يا عليم . . . يا رزاق يا كريم. بالإضافة إلى المصانع التي كانت معروفة في اللد. وهكذا كان النشاط في جميع القرى الأخرى.

المرحلة السادسة: الكتابة عن المكان (العباسية، عنابة، دير ياسين، اللد).

نتائج المرحلة السادسة

طالبات مدرسة دير جرير:

أ- "أذكر جيداً ذلك المكان الندي، أذكر جيداً عندما اصطحبني والدي إلى دكانه هناك في قريتي العباسية، كانت الشوارع مرصوفة، وكانت سوق القرية تعج بالزائرين من مختلف القرى المجاورة. وكانت الشمس تدلف بشعاعها البراق، وكان النسيم يداعب جدائلي المنسدلة. كان أبو محمد يداعبني دوماً، دكانه بجانب دكان والدي، يحمل لي من ثمار الفاكهة التي كانت في دكانه، كان أبي على معرفة كبيرة بكل أهالي القرية، عندما يمرون من جانبه كانوا يحيونه بابتسامة عريضة. أذكر جيداً عندما اصطحبني أبي إلى السوق هناك في منتصف العباسية، واشترينا بعض الخضار وحملناها إلى والدتي، وعدنا ننتظر موعد الغداء. أذكرها جيداً، نعم العباسية، عشت فيها، أحبها، لا بل عشقتها . . . " .

ب- "إنها قريتي، عنابة، كلها حيوية، وجمال، وتعب. هنا في عنابة لدينا كروم الزيتون واللوز، يرتاح المزارع تحتها حين يشعر بالتعب، تظلله بظلها. في قريتنا طابون نخبز فيه، رائحة الخبز رائعة؛ وذلك لأنه من قمح حضنته أكفنا طوال أشهر الحصاد. لدينا أيضاً حظائر الأغنام، تخرج أمي مبكرة لكي تحلبها، وتحضره لنا قبل الذهاب مع الأغنام إلى الجبال لنرعى" .

ج- "مدينتي اللد . . . ترى هناك حقولاً واسعة، تزينها أشجار جذورها ثابتة في التراب، والبساتين الخضراء تبدو كالبسط الخضراء. المكان مزدهر، تعلوه أصوات الناس في الأسواق، الناس في حركة دائمة؛ البائعون ينادون بأعلى أصواتهم لترويج بضائعهم، كل يصف بضاعته، ويذكر مميزاتها. كانت لمحة بسيطة مما رأيته في السوق. كما ترى الأخوّة بين المسلمين والمسيحيين، الجميع يدخل مكان واحد للعبادة، لا يفصل بينهم إلا حائط واحد" .

د- "قريتي دير ياسين . . . مكان جميل تطوّقه الأشجار، أتوق للمس جذع شجرة من أشجارها. أتوق فعلاً لأتذوق ثمرة من ثمراتها. تناديني الحجارة لأجلس عليها، وأغني لها. ما أجملها! ما أروع هذه الطبيعة! لا أقوى على فراقها، لا أقوى على أن أدير رأسي خوفاً من أن تذهب صورتها في خيالي. وهذه الحبوب التي تغرس في كل ثغرة من ترابها! ما أروع أن أحمل تلك الحبوب على ساعدي، ويا لسمائها الخجلة من شمسها الذهبية!" .

المرحلة السابعة: وحتى تتعمق المشاعر، طُلب من الطالبات رسم "خريطة سير النكبة" ، على أن تُستكمل في اليوم التالي بعد الاستماع إلى ذاكرة المهجرين عن الهجرة.

المرحلة الثامنة: النشاط الأخير يهدف إلى التوحد الوجودي مع المكان الذاكرة، وذلك بعمل سكيتش عن يوم من حياة المهجرين في ذلك الوقت.

نتائج المرحلة الثامنة

بنات مدرسة دير جرير:

قامت طالبات بنات دير جرير باختيار يومين من حياة القرية في ذلك الوقت: يوم تعيشه النساء في البيت، وتقوم بدورها الطبيعي في عمل المنزل، وقد دار حوار بينهما متقمصات دور أفراد الأسرة، ويوم آخر من حياة الفلاحين في الحصاد.

وأثناء "سكيتش" الحصاد قامت إحدى الطالبات التي أخذت دور الأب بغناء الأغنية الشعبية الآتية:

قولو لإمّو تفرح وتتهنى	ترش الوساید بالعطر والحنا
يا دار هنا وبنيها يا بنّا	والفرح إلنا والعرسان تتهنى
والدار داري والبيوت بيوتي	واحنا خطبنا يا عدوي موتي
يابي مريم لا تكون عبوسي	واسمح بوجهك، واعطي هالعروس
يابي مريم لا تكون طمّاعي	والمال يفنى والنسب نفّاع

بنات مدرسة راهبات الوردية:

اختارت زميلتي أمل يوماً من حياة "اللد" ، وآخر من قرية "العباسية" .

السكيتش الأول: مدينة اللد

تقول زميلتي أمل واصفة هذا النشاط: كان نموذجاً للوحدة بين الديانتين، حيث بدأ النشاط بنداء الصلاة (الآذان)، وقرع الأجراس، حيث توجه كل شخص إلى مكان عبادته؛ لأداء شعائر العبادة، وخرجوا بعد ذلك وتعانقوا طويلاً، وبدأ السؤال عن الحال، ثم مشوا معاً إلى السوق يتبادلون الحديث بود، وذهبوا إلى السوق، حيث اشترى كل منهم حاجته. في السوق أيضاً بدأت علاقات وديّة واضحة بين الباعة والمشترين.

السكيتش الثاني:

كان عبارة عن يوم فرح لأسرة كانت تريد أن تزوج ابنها البكر، حيث أظهر النشاط طبيعة العادات والتقاليد التي تحول دون رؤية العريس عروسه، ودور النساء في اختيار العروس، وذكر أوصافها، وكيفية الموافقة بين الطرفين، حيث لوحظ محاولة استخدام اللهجة المحكية التي تمّ سماعها لدى المهجرين.

وبهذه الأنشطة التي تم عرضها، يتحقق الهدف الآتي: المكان: ذاكرة، تاريخ، تراث.

النشاط الثاني:
النكبة بين ذاكرتين

الهدف منه: التعرف على تفاصيل النكبة بحيثياتها من ذاكرة مهجرين ما زالوا على قيد الحياة، وعرض الصورة النقيض لها في ذاكرة "الآخر".

مراحل النشاط:

المرحلة الأولى: بدأنا النشاط بإحماء لتنشيط الطالبات.
المرحلة الثانية: الاستماع إلى ذاكرة المهجرين.

من ذاكرة المهجرين

"كنت في البيت وحدي عندما جاء أحد الجيران وأخبرني بذبح أفراد عائلتي (السبعة عشرة)، ونصحني بعدم الذهاب إلى هناك . . . "لأنهم مكومين فوق بعض!" ... ".
نعمة زهران – دير ياسين

"لم يدخل اليهود قريتنا، بل لعبت الإشاعات دوراً كبيراً في تهجيرنا من القرية ... فقد وصلتنا أنباء بأن اليهود يأخذون النساء، وبخاصة الجميلات "ويفعلون فيهم" ويقتلون الرجال ... ".
أم أسامة الطرشة– عنابة

"دخلت سيارة إسعاف في وسط القرية، اعتقد الرجال أن هناك أحداً من القرية مريضاً، وعندما التفوا حولها، حاصرهم جيش العدو، وقتلوهم رمياً بالرصاص ... ".
الحاجة فاطمة– العباسية

"أتذكر أمي عندما كانت تقول لوالدي: "شوي شوي على المصروف" كان والدي يقول لها: كلها أسبوع زمان ونرجع إلى البلاد. ولم نعرف أننا سنمكث في مخيم الجلزون (ستين عاماً)".
نمر ناصيف– اللد

المرحلة الثالثة: بعد الاستماع إلى ذاكرة المهجرين، طُلب من الطالبات استكمال رسم "خريطة سير النكبة". ومن الملاحظات التي خرجت بها أنا وزميلتي أمل بعد الإطلاع على خرائطهم، ما يأتي:

اختلفت اتجاهات الخطوط قبل الاستماع إلى ذاكرة المهجرين وبعده، حيث كانت أغلب خطوط الطالبات تتجه إلى الخارج (الدول العربية المحيطة بفلسطين)، أما بعد الاستماع إلى أقوال المهجرين، فاتجهت خطوطهن نحو الداخل.

نتائج المرحلة الثالثة

وهكذا استنتجت الطالبات:
– مدى تمسك الأجداد بالأرض.
– مدى تمسكهم بأمل العودة إلى ديارهم.

المرحلة الرابعة: عرض فيلم "عبيد الذاكرة"؛ للاستماع إلى آراء "الآخر" عبر أجيال مختلفة.

المرحلة الخامسة: الكتابة من وجهة نظر "الأنا" و"الآخر".

نتائج المرحلة الخامسة

كتابات بعض الطالبات:

بنات مدرسة دير جرير:
أولاً– "الأنا":
"النكبة ذكرى موجعة للشعب الفلسطيني، حزّت تلك الذكرى المؤلمة جرحاً عميقاً في القلب، لن يُشفى أبداً، سلب الأرض، التشريد، قتل الأطفال والنساء الأبرياء، والكثير الكثير. أليس مؤلماً؟! خرج الناس من أراضيهم قسراً، تأخذك عيون من عاشوا النكبة إلى الماضي، الماضي الجميل الذي عاشوه قبل أن تمزقه النكبة، وتغير ألوانه. لكنها فعلة حوّلت تلك الأيام الزاهية إلى أيام سوداء لا ألوان فيها، حجة الصهيوني أنهم تعرضوا للظلم من قبل، لذا يحلّ لهم سفك الدماء، وسلب الأراضي. كيف يرضون الظلم لأناس أبرياء؟! يجب عليهم أن يعرفوا ما يعانونه، بما أنهم عاشوا التجربة من قبل. حقاً قلوبهم القاسية عكست الصورة على وجوههم. كان شعبنا بسيطاً، منقاداً وراء ما يتناقل من إشاعات، لم ينظروا بمنظار المستقبل ليروا ما سيحصل لهم، ظنوا أنها أزمة بسيطة ستمر ويعود كلٌّ إلى أرضه، فاجأتهم تلك النهاية، أصبحت النكبة تلك النهاية، وأصبحت النكبة ذكرى تمرُّ، وتعيد الآلام والمعاناة".

ثانياً– "الآخر":
"أنا أعلم بأن العرب هم المجرمون، وهم المذنبون، هم سبب كل المشاكل التي تحدث اليوم. عندما أنظر إلى التلفاز كل يوم، أرى أنهم هم الذين يطلقون الصواريخ على "سديروت" وعلى عسقلان، وعلى

الناس الآمنين، وهم الذين يقومون بالعمليات الانتحارية ضدّ الناس في الأسواق والشوارع، لا يحق لهم ذلك، لماذا يقتلون الأطفال والشيوخ والنساء؟! بأي حق يفعلون ذلك؟! هل هم فوق القانون؟! وبسبب كل أعمالهم الهمجية التي يقومون بها، نحن مضطرون، وخارج إرادتنا أن ندافع عن أبناء شعبنا الأبرياء. لذا ما يحصل اليوم، وما نراه من أفعال الجيش الإسرائيلي بالفلسطينيين، ما هو إلا ردة فعل عما يفعله العرب الفلسطينيون بنا؛ لذا لا يوجد لنا أي ذنب، بل نحن الضحية في هذا الصراع الدائر بيننا. نحن أصحاب أرض صهيون. لذا عندما أكبر، سوف أصبح جندية، لكي أعيد الحق لشعب إسرائيل . . . " .

بنات راهبات الوردية :

أولاً- "الأنا" :

"النكبة ليس إعادة إحياء ذكرى، بل بعث أمل متجدد ومتجذر للصمود والقوة؛ لتحقيق حلم العودة؛ ولكي يحدث ذلك لا بدّ من الدفاع عن أنفسنا ليستطيع العالم أن يسمع صوتنا أمام هذا العدو الحاقد القادر على تزوير الحقائق "أدب الاحتيال" ويوم النكبة جعلنا نفتخر بالأجداد، ونشعر بالفخر لانتمائنا لهذا الشعب والبلد المرابط " .

ثانياً- "الآخر" :

"هذه أرض الآباء والأجداد، وها نحن نزرع ذلك في أطفالنا منذ نعومة أظفارهم؛ ليعلموا كم تعب الأجداد لنصل إلى ما نحن فيه. أرضنا أرض الميعاد لا نستطيع التفريط بها، أرض المن والسلوى، بهذه الروح العالية لا يمكن إسكاتنا، ولا يمكن لهم تزوير الحقائق " .

النشاط الثالث:

مراحل النشاط :

بعد الكتابة عن النكبة من وجهة نظر "الأنا" و"الآخر"، طُلب من الطالبات عمل النشاطين الآتيين :

المرحلة الأولى : عمل شركة دعاية وإعلان، وتصميم "كُتيب" يدعم حق كل طرف في المكان.

اختارت الطالبات في النشاط الأول، تصميم "كُتيّب" للترويج عن النكبة.

نتائج المرحلة الأولى

مدرسة راهبات الوردية :

- المجموعة الأولى: اختارت اسم الكتيب "لن ننسى شعار مفتاح العودة" .
- الغلاف الأول: اشتمل على خارطة فلسطين، داخلها صورتان مختلفتان لحنظلة يظهر فيها التصميم على العودة.
- الغلاف الثاني: خارطة فلسطين داخلها عائدون، بالإضافة إلى جميع المدن الفلسطينية الأساسية في فلسطين كلها.

المضمون: بدأت القصة بوعد مشؤوم، مرور ستين عاماً على الشتات، بالإضافة إلى الوثائق والقرارات الخاصة للأمم المتحدة بحق العودة، والوثائق الفلسطينية التي تبين الحق بالأرض مثل وثائق جواز السفر، والطابو.

تمّ تقسيم فريق العمل إلى ثلاثة أقسام :

1. جمع الوثائق والمعلومات.
2. هندسة المشروع وتصميمه.
3. الإشراف العام.

بنات دير جرير الثانوية :

- أطلقت المجموعة الأولى اسم "منظار المستقبل" على شركتها للدعاية والإعلان، منتجة كُتيباً بعنوان: "فلسطين أرض المعاناة . . . الفلسطينيون أصحاب الحق المسلوب" .
- الغلاف الأول: احتوى الغلاف عنوان "فلسطين أرض المعاناة . . . الفلسطينيون أصحاب الحق المسلوب" ، وصورة لعائلة مهجّرة أثناء النكبة.
- الغلاف الثاني: الغلاف الخلفي تضمن أسماء المنتجين، المؤلفين، المصورين، والإخراج، والإشراف العام. وأيضاً عبارتين، هما :

1. مع تحيات شركة منظار المستقبل.
2. مع أمنيات مستقبل مشرق، ومسح للآلام الماضية.

المضمون: جاء المضمون موزعاً في خمس صفحات، تحت عناوين مختلفة، مثل: بداية المعاناة، أحداث النكبة، مسار اللاجئين، ذاكرة عبر التاريخ. تحدثت فيها الطالبات عن رحلة العذاب التي شهدها أجدادنا منذ النكبة، مستفيدة من صور عن النكبة، ووثائق تاريخية.

المرحلة الثانية: عمل شركة إنتاج أفلام، وإنتاج "فيلم وثائقي" عن النكبة.

نتائج المرحلة الثانية

مدرسة راهبات الوردية :

قامت الطالبات بإنتاج فيلمين وثائقيين بعنوان :

المجموعة الأولى: "عائدون" ، الذي كان شعاره خارطة لفلسطين في

وسطها جذع شجرة بشكل يد، وتحمل مفتاح العودة.
المجموعة الثانية: "شعب الله المختار": استطعن الطالبات في هذا العمل تبديل الحقائق، مستفيدات من الوثائق لإثبات حق اليهود في فلسطين.

مدرسة بنات دير جرير:
أطلقت المجموعة اسم "صوت الضمير" على شركة إنتاج الأفلام. منتجة فيلم بعنوان: "أين عصف بنا التاريخ؟!". وقد استخدمت الطالبات بعض الصور والوثائق التاريخية التي تدعم الفيلم.

يبدأ الفيلم بعرض صورة عن النكبة (أناس يرتحلون).

المشاهدة الأولى احتوت على: اسم الشركة، اسم الفيلم، أسماء المنتجين، أسماء المصورين، ومشرف الصوت، والإخراج، والإشراف العام.

أثناء عرض الفيلم الوثائقي، قامت الطالبات بعرض مجموعة صور، كما رافق العرض موسيقى تتناسب مع الأحداث.

وبهذه الأنشطة استطاعت الطالبات أن تتعرف على ذاكرتين مختلفتين لـ"الأنا" و"الآخر".

تقييم الأنشطة

وفي نهاية العمل، طُلب من الطالبات أن يدلين برأيهن حول المساق، حيث استخدمت زميلتي أمل التقييم الآتي:

H: HEAD – HARD – HAND TECNICE 3.

تم رسم صورة لإنسان بحيث يمثل الرأس المستوى الذهني، والقلب المستوى العاطفي "المشاعر والأحاسيس والعلاقات"، واليدين ترمز إلى ما تعلمناه على المستوى العملي.

تقييم طالبات راهبات الوردية:

- **الذهني**: يجب أن لا نصدق كل ما يُقال ويُقرأ في الكتب، أو ما يشاهد في التلفاز، فها هم استطاعوا أن يزوروا الحقائق، والذي لا يعرف شيئاً عن فلسطين يمكنه تصديق الدعاية، أو الأسطورة الإسرائيلية. كما تعلمنا كيفية عمل اليهود على تعبئة أدمغة أحفادهم بالأفكار، وكيف تساعدهم هذه الأفكار على إسكات الآراء والأصوات التي لا تتناسب ومعتقداتهم.
- **العاطفي**: بناء مشاعر الصداقة والتعاون والانتماء في العمل، كما سيطرت علينا مشاعر مختلطة من الحزن والعجب والتهكم.
- **العملي**: يد واحدة لا تعمل ولا تنجز، بينما عشرات الأيادي تعمل عملاً مفيداً ومسلياً في الوقت نفسه، وتكون نموذجاً ناجحاً. كما علينا التعاون معاً في تحرير فلسطين كما تعاونا في إنجاز هذا العمل. وكانت الشعارات الآتية: في الاتحاد قوة، يمكن التغيير ولو بكلمة.

تقييم طالبات مدرسة دير جرير:

وقد أدلت طالبات دير جرير برأيهن عن المساق، حيث كانت الآراء متباينة حول المهجرين واليهود. وقد أزاح المساق بعض الآراء المغلوطة التي كانت تحملها بعض الطالبات عن المهجرين لتتضح الحقيقة، ويكتمل الناقص، ويُجمّل المشوه. فقد كانت بعض الطالبات لا تلتمس عذراً لهؤلاء المهجرين وتحملهم مسؤولية ترك "البلاد"، ولكن بعد الاستماع إلى شهادات المهجرين أيقنّ أن الإشاعات، والخوف على (العرض)، وعدم امتلاكهم مقومات الدفاع عن أنفسهم كانت من أهم الأسباب الدافعة نحو الهجرة، وأن الهجرة كانت قسراً، وأن حلم العودة لا يزال هاجساً يراودهم حتى بعد مرور ستين عاماً على النكبة.

كما شاهدت الطالبات "الآخر" بوجهه المزيف، وفكره الماحق، وإن تفاجأت إحدى الطالبات قائلة: "أكثر شيء لم أكن أتوقعه أن أرى شخصاً يهودياً مؤيداً للقضية الفلسطينية، معارضاً لأعمال الصهيونية البشعة". ورأيها وضعني في دائرة من الخوف والقلق في رؤيتها للجانب المزيف من "الآخر" بشكل مُجمَّل. وبالمقابل، أخذني هذا الرأي إلى منحى آخر، وهو أن الطالبات سوف يفكرن بطريقة أكثر وعياً بالواقع، والنظر إليه بطريقة موضوعية وأكثر شمولاً وعمقاً، فقضيتنا شائكة متداخلة، فلا بدّ من دراستها من زوايا عدّة.

وكانت الخاتمة لزميلتي أمل، حيث قالت:

إن التهجير نقيض الاستقرار والطمأنينة، لذا فهو قلق متجدد، وحركة دائبة. وبهذا الاعتبار قمت أنا وزميلتي بتجربة لنكون نموذجاً يجمع بين وجهي الماضي والحاضر، يتجذر هناك، ويؤسس وجوده في الآن، ويعمق معنى هذا الوجود وقيمه بصياغة مستقبلية ينسج خيوطها ويحفر علامات المكان، مستلهماً آراء المهجرين ورؤاهم ووعيهم الخاص الذي يتلقاه ويشحذه، ويشكل حضوراً جديداً يعمل على تحويله إلى قيمة ذاتية، وخاصة داخلية باطنية. ولا يُنظر إليها إلا على أنها خاصية تتولد في سياق المتغير، فما نعنيه تثمين التجربة، والاحتفال بها بالحياتي والمعاش من أصوات المهجرين، وإعادة اعتبار للزمن المهمش في مواجهة كل ما ينفصل عنه، ويعلو عليه، وبهذا الفعل ينغمس الصوت الإنساني في الزمن حاملاً في ثناياه دعوة لخلخلة النظم، وإعلان عن حالة اكتمال بأنها غيره، وهكذا تمضي في ترسيخ وجودها عبر الهدم المستمر.

"نحن قادمون لا محالة .. قدّمنا، وسنقدم المزيد من الشهداء لأرضنا المعطاء ... يافا افتحي ذراعيك واحضنينا، أيها الصياد أخرج شباكك لتعود بصيد ثمين، لن تخيبئ الأسماك بعد اليوم، فهي ستعانقك بعد غياب طويل ..."
(من فيلم: عائدون، إخراج طالبات راهبات الوردية).

باسمة صواف وأمل قطاوي
مشروع التكون المهني المستمر في المدارس